مدرسة الإسكندرية

يسوع المسيح رجل الصلاة (٤)

دراسة عن صلوات المسيح في الكتاب المقدس

نيافة أنبا هرمينا

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد العاشر - ٢٠١٢

مجلة مدرسة الإسكندرية
عدد ١٠

يسوع المسيح رجل الصلاة

دراسة عن صلوات المسيح في الكتاب المقدس ٤

نيافة أنبا هرمينا

يسوع المسيح رجل الصلاة

دراسة عن صلوات المسيح في الكتاب المُقدَّس(٤)

إعداد مركز الأبحاث بالمجلة
R-center@alexandriaschool.org

تمهيد:

استعرضنا في المقال السابق **المجموعة الثانية** من الشواهد التي تتكلَّم عن مكانة الصلاة في حياة الرب يسوع اليوميَّة، والتي تجمع بين بعض المواقف التي صلَّى فيها السيد المسيح، قبل وأثناء أحداثٍ هامَّة من حياته على الأرض، والتي ورد أغلبها في بشارة القديس لوقا. أمّا المجموعتان **الثالثة والرابعة** من هذا التقسيم[1]، اللتان نحن بصدد دراستهما في هذا المقال، تتناولان جوانب أخرى من صلوات السيد المسيح أثناء حياته على الأرض، وهما على النحو التالي:

المجموعة الثالثة: صلوات تحتوي على البركة والشكر:

قبل معجزة إشباع الجموع (مت١٤: ١٩؛ ١٥: ٣٦؛ مر٦: ٤١؛ ٨: ٦ـ٧؛ لو٩: ١٦؛ يو٦: ١١).

وهو يبارك الأطفال (مت١٩: ١٣ـ١٥؛ مر١٠: ١٣ـ١٦؛ لو١٨: ١٥ـ١٦).

المجموعة الرابعة: صلوات شفاعيَّة من أجل تلاميذه (لو٢٢: ٣١ـ٣٢؛ يو١٤: ١٦؛ ١٧: ٩ـ٢٦).

---

[1] انظر تقسيم تلك المجموعات في: «يسوع المسيح رجل الصلاة (١)» في ***مدرسة الإسكندرية***، السنة الثالثة – العدد الأول (يناير – إبريل ٢٠١١)، ١١٢-١١٣.

صلوات تحتوي على البركة والشكر:

أولاً، قبل معجزة إشباع الجموع:

يسرد لنا البشيرون الأربعة معجزتيْن أشبع فيهما السيد المسيح جموعًا مؤلَّفة، الأولى بخمس خبزاتٍ وسمكتيْن (مت١٤: ١٩؛ مر٦: ٤١؛ لو٩: ١٦؛ يو٦: ١١)، والثانية بسبع خبزاتٍ وقليل من صغار السمك (مت١٥: ٣٦؛ مر٨: ٦ـ٧). وفي كلتيْهما يستخدمون الفعل "شكر" εὐχαριστέω (مت١٥: ٣٦؛ يو٦: ١١)، أو "بارك" εὐλογέω (مت١٤: ١٩؛ مر٦: ٤١؛ لو٩: ١٦)، أو كليْهما معًا (مر٨: ٦ـ٧).

كما اتفق البشيرون، في الأناجيل الإزائيَّة، على استخدام عبارة واحدة في معجزة إشباع الخمسة آلاف، وهي: «رَفَعَ نَظَرَهُ نَحْوَ السَّمَاءِ ἀναβλέψας εἰς τὸν οὐρανὸν»، كتعبير ظاهري لرفع فكره إلى فوق، لكي يُبيِّن للجموع أن قوته إلهيَّة. كما أنه بهذا الفعل، أراد ابن الله أن يُؤكِّد على عدم تجاهله للأفعال الخارجيَّة التي تُناسِب الضعف البشري. كما يُذكِّر، أيضًا، الجموع بالله الذي في السموات، الذي هو مصدر جميع الخيرات، وهو ما يجب أن نتذكَّره نحن أيضًا، فعوضًا عن التذمُّر بما نفتقده من أشياء، يجب أن نشكر الله على ما هو بالفعل بين أيدينا. يقول **القديس كيرلس الإسكندري**:

"لقد شكَر الرب، كمثال لنا ونموذج للتقوى ينبغي أن يكون فينا: وها هوذا كإنسان، ينسب مرة أخرى قوة المعجزة للطبيعة الإلهيَّة. هكذا كانت عادته، إنه كمثال للتقوى، كما قلت، يساعد أولئك الذين كُشِفَ لهم مُعلِّمًا إياهم الأمور بالغة السمو، وبتدبير يحجب كرامته الإلهيَّة، إلى أن يقترب زمان آلامه، والذي كان يبذل قصارَى اهتمامه ليُخفيه عن «رئيس هذا العالم» (انظر:١كو٢: ٨)"[٢].

[٢] القديس كيرلس الإسكندري، شرح إنجيل يوحنا (المجلَّد الأول)، ترجمة نصحي عبد الشهيد وآخرون، (القاهرة، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائيَّة: ٢٠٠٩)، ٣٢٨.

أمّا صيغة تلك الصلاة فتحتوي على الشكر أو البركة أو كليْهما. ولكن إذا رجعنا إلى الفعل العبري בָּרַךְ ، ومعناه "بارك"، فهو يحمل، على الأرجح، نفس المعنى لكِلا الفعليْن اليونانيَّيْن εὐλογέω و εὐχαριστέω، حيث أن التمييز اللغوي بينهما لم يكن ذات أهميَّة حتى القرن الثاني[٣]. وعليه فإن البركة تدلُّ أيضًا على الشكر. بناءً على ذلك، يقول القديس بولس في رسالته الأولى لتلميذه تيموثاؤس: «لأَنَّ كُلَّ خَلِيقَةِ اللهِ جَيِّدَةٌ، وَلاَ يُرْفَضُ شَيْءٌ إِذَا أُخِذَ مَعَ الشُّكْرِ، لأَنَّهُ يُقَدَّسُ بِكَلِمَةِ اللهِ وَالصَّلاَةِ» (١تي٤: ٤ـ٥). وهو ما يشرحه **القديس كيرلس الإسكندري**، في تفسيره لإنجيل القديس يوحنا، قائلاً:

"جديرٌ بنا أن نلاحظ أنه بدلاً من «شَكَر» (يو٦: ١١)، يقول متى البشير: «بارَك» (مت١٤: ١٩). ولكن كتابات القديسين لا تتعارض بأي حال من الأحوال، لأن بولس سوف يُوضِّح أن كِلا الأمريْن واحد، قائلاً: إن «كل طعام الله جيد، ولا يُرفَض شئ، إذا أُخِذ مع الشكر لأنه يُقدَّس بكلمة الله والصلاة» (١تي٤: ٤ـ٥). لكن ذاك الذي يُقدَّس بالصلاة في توسُّل، وهو ما نفعله دائمًا على المائدة، وهو بالتأكيد يتبارَك"[٤].

إن تلك الصلاة المُتضمِّنة الشكر أو البركة أو كليْهما، تكشف لنا في طيَّاتها عدة أمور؛ أولها أن شكره هو تعبيرٌ عن ثقته من إتمام المعجزة التي كان مُزمعًا أن يصنعها بقدرته الإلهيَّة، وباتفاق مشيئته مع مشيئة الآب. كما أنها هي نموذج لتجلِّي الطبيعة ليكشف فيها المسيح عنصر الحياة التي جاء ليعطيها، ولقد بدأ بالخبز المادي وحوَّله أمام أعين الآلاف ليُخضِع الآية للرؤيا والأكل. فصارت الخمس خبزات عددًا يفيض منها العدد ويتوه عن الذهن ويُلغَى بواسطة البركة ليزداد الخبز بدون أرقام ولا حدود كيفما شاء الكاسر والموزع والآكل. وهذه العملية الروحيَّة السريَّة التي ألغى بها المسيح محدوديَّة الأعداد والأرقام أخفاها، إذ لم يوزِّع الأرغفة كأرغفة بل كسَّرها كسرًا حتى يضيع معالم الرقم ـ أي المحدوديَّة ـ وينطلق الخبز بالبركة إلى ما

---

[3] Bratcher, Robert G.; Nida, Eugene Albert: *A Handbook on the Gospel of Mark*, (New York: United Bible Societies, 1993), 208.

[٤] القديس كيرلس الإسكندري، شرح إنجيل يوحنا (المجلَّد الأول)، ٣٢٩.

لا يُعدُّ ولا يُحصى. لذلك يصرُّ القديس لوقا على القول بالنسبة للخبز وباركها εὐλόγησεν αὐτούς لكي تقع البركة على الخبز مباشرةً ليخرج من دائرة الرقم والمحدود[٥]. يقول **القديس كيرلس الإسكندري**:

"ونظر إلى فوق إلى السماء ليطلب بركة من فوق قاصدًا بهذا أيضًا ما هو لخيرنا. لأنه هو نفسه الذي يملأ كل الأشياء، إذ هو نفسه البركة التي تأتي من فوق، من الآب، ولكي نتعلَّم نحن أننا حينما نبدأ في الأكل ونكسر الخبز، فمن واجبنا أن نُقدِّمه إلى الله، واضعين إيَّاه على أيدينا الممدودة ونستنزل عليه بركة من فوق، ولذلك فقد صار هو سابقًا لنا، ومثالاً وقدوة في هذا الأمر"[٦].

وهذا على عكس ما جاء في بشارتيّ مُعلِّمنا متى ومُعلِّمنا مرقس، حيث جاء الفعل "بارك" εὐλόγησε بدون المفعول به، وهذا يجعل القصد من البركة، على الأرجح، ليس هو الخبز، ولكن الله الذي يُعطينا إيَّاه. وهو ما يتفق مع نصِّ الصلاة التي كان يُصليها رب العائلة اليهوديَّة قبل تناول الطعام، حاملاً الخبز في يده وهو يشكر الله قائلاً: "مبارك أنت أيها الرب إلهنا، ملك الكون، الذي يُعطي خبزًا من الأرض" (Mishnah, *Berakhot,* 6:1)[٧]، وهي صلاة، كان يحرص كل يهودي أن يتلوها، عملاً بما علَّم به مُعلِّمو الشريعة قائلين إن تناول الطعام دون صلاة البركة هو تدنيس لأمرٍ مُقدَّس[٨]. وهي عادةٌ قد ترسَّخت عند الأسينيِّين في مجتمع قمران[٩]. وهو الأمر الذي انتقل بدوره لمجتمع المسيحيِّين في الكنيسة الأولى، وهو ما أشار إليه كُتَّاب العهد

---

[٥] انظر: ١صم٩: ١٣.

[٦] القديس كيرلس الإسكندري، تفسير إنجيل لوقا، ط٢، ترجمة نصحي عبد الشهيد، (القاهرة، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائيَّة: ٢٠٠٧)، ٢٣٤.

[7] Blomberg, Craig: *The New American Commentary*, *Matthew*, (Broadman & Holman Publishers, 2001), 232.

[٨] سامي حلاَّق اليسوعي، مجتمع يسوع: تقاليده وعاداته، ط١، (بيروت: دار المشرق، ١٩٩٩)، ١١١.

[9] *The Ante-Nicene Fathers: Translations of the Writings of the Fathers Down to A.D. 325*, edit by: Roberts, Alexander; Donaldson, James; Coxe, A. Cleveland, Vol. V, (Oak Harbor: Logos Research Systems, 1997), *The Refutation of All Heresies, Book IX: The Tenets of the Esseni,* Chapter XVI, p. 134.

الجديد[١٠]. وهو أيضًا يماثل، إلى حدٍّ ما، ما في الصلاة الربانيَّة من تقديس اسم الله قبلما أن نطلب خبزنا اليومي: «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ ... خُبْزَنَا كَفَافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ» (مت٦: ٩، ١١). وعلى ذلك فإننا إذ نشكر ونبارك الله قبل تناول الطعام، نعترف به الواهب جميع الخيرات، وبذلك نعترف بأن الله هو مَن تعتمد عليه حياتنا (مت٦: ١١).

ثانيًا، المسيح يُبارِك الأطفال:

يذكر القديس متى في بشارته، واقعة مباركة السيد المسيح للأطفال، حيث يقول: «حِينَئِذٍ قُدِّمَ إِلَيْهِ أَوْلاَدٌ لِكَيْ **يَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَيُصَلِّيَ** τὰς χεῖρας ἐπιθῇ αὐτοῖς καὶ προσεύξηται فَانْتَهَرَهُمُ التَّلاَمِيذُ. أَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ: دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ لأَنَّ لِمِثْلِ هَؤُلاَءِ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. **فَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ** καὶ ἐπιθεὶς τὰς χεῖρας αὐτοῖς» (مت١٩: ١٣ـ١٥). أما نصّ بشارة القديس مرقس، فجاء هكذا: «وَقَدَّمُوا إِلَيْهِ أَوْلاَداً لِكَيْ **يَلْمِسَهُمْ** ἅψηται ... فَاحْتَضَنَهُمْ **وَوَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ وَبَارَكَهُمْ** κατευλόγει τιθεὶς τὰς χεῖρας ἐπ' αὐτά» (مر١٠: ١٦).

في هذه النصوص، تُواجهنا بعض العبارات الهامّة، والتي تكشف لنا عن بعض الممارسات التقويَّة في ذلك العصر، والتي تمتد من العهد القديم. أول هذه العبارات هو: «**يَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ** τὰς χεῖρας ἐπιθῇ αὐτοῖς»؛ «**وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ** τιθεὶς τὰς χεῖρας ἐπ' αὐτά». وهذه العبارة تحمل نفس المعنى لنظيرتها العبريَّة «**وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى** סָמַךְ אֶת־יָדָיו עָל»[١١]، وهي الفعل الخارجي الذي يرمز إلى منح البركة[١٢]. فوضع اليد هنا يُصاحبه الصلاة من أجل منح

---

[١٠] انظر: لو٢٤: ٣٠؛ رو١٤: ٦؛ ١كو١٠: ٣٠؛ ١تي٤: ٥؛ أع٢: ٤٢، ٤٦–٤٧.

[١١] انظر: تك٤٨: ١٤، ١٧؛ عد٢٧: ١٨؛ تث٣٤: ٩.

[12] Freedman, David Noel: *The Anchor Bible Dictionary*, (New York: Doubleday, 1996), 3:48.

البركة، وكأن الفعل، بحدِّ ذاته، هو صلاة، كما يقول **القديس أغسطينوس**: "إن وضع اليد ما هو إلاّ صلاة من أجل أحدهم"[١٣].

وهو ما ينقلنا إلى العبارة الثانية، والتي تُوضِّح العلَّة من وضع اليد هنا، وهي بحسب القديس متى: «**يُصَلِّيَ** προσεύξηται»، والتي توازي «**بَارَكَهُمْ** κατευλόγει»، بحسب القديس مرقس. فقد كان لوضع اليد لمنح البركة مكانًا بارزًا في العهد القديم، الغرض منها هو بركة الإنسان للإنسان، والتي لا تكون إلاّ من داخل الأبوَّة كبركة إبراهيم واسحق ويعقوب لبنيهم[١٤]، أو من داخل الكهنوت، كبركة ملكي صادق لإبراهيم[١٥]، وبركة هارون وبنيه للشعب، وهي البركة الشائعة بالأكثر، بحسب أمر الرب لموسى النبي، قائلاً: «قُل لِهَارُونَ وَبَنِيهِ: هَكَذَا تُبَارِكُونَ بَنِي إِسْرَائِيل: يُبَارِكُكَ الرَّبُّ وَيَحْرُسُكَ. يُضِيءُ الرَّبُّ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيَرْحَمُكَ. يَرْفَعُ الرَّبُّ وَجْهَهُ عَلَيْكَ وَيَمْنَحُكَ سَلاماً. فَيَجْعَلُونَ اسْمِي عَلَى بَنِي إِسْرَائِيل وَأَنَا أُبَارِكُهُمْ» (عد٦: ٢٢ـ٢٧). ويتَّضح هنا جليًّا أن الكاهن يُبارِك الشعب باسم الرب، أي أن الرب نفسه هو الذي يُبارِك بواسطة الكاهن. كذلك البركة التي لأحد الأنبياء، مثل صموئيل النبي على اعتبار أن النبي ينطق البركة بفم الله. بجانب البركة التي بارك بها داود الملك أو سليمان الملك الشعب كملكيْن ممسوحيْن بواسطة أحد الأنبياء.

هذا الأمر أصبح شائعًا فيما بعد بين اليهود، حيث يؤتَى بالأطفال إلى من يتَّصفون بالورع والتقوى من الرابيِّين ومُعلِّمي الشريعة، ليُباركوهم، وذلك بوضع اليد عليهم، والصلاة من أجل منحهم نعمة إلهيَّة لينمو في الحكمة

---

[13] Elwell, Walter A.; Comfort, Philip Wesley: *Tyndale Bible Dictionary*, (Wheaton, Ill.: Tyndale House Publishers, 2001) S. 570.

[١٤] انظر: تك٢٧: ٢٣-٢٩؛ ٤٨: ١٤، ١٧.

[١٥] انظر: تك١٤: ١٨، ١٩.

والقامة، وخاصةً عند تمام عامهم الأول من العمر[١٦]، وأيضًا في عشيَّة عيد الكفّارة (*Sopherim* 18:5)[١٧].

إذًا، ففعل البركة يشمل وضع اليد وصلاة البركة، غير أن نصّ هذه الصلاة لم يأتِ على ذكرها البشيرون. ولكن من المُرجَّح أنها تبدأ بعبارة: "الرب يُباركك ..." ومن المُلاحَظ أيضًا، أن الفعل المُركَّب «**بَارَكَهُمْ** κατευλόγει»، بحسب القديس مرقس، لم يأتِ بهذا الشكل في كل العهد الجديد، إلاّ في ذلك الموضع، حيث يقترن الفعل εὐλογέω "أُبارِك" بالحرف κατα، مما يُعطي قوة للمعنى، حيث يصبغ الفعل بمشاعر الحب والرحمة والدفء[١٨]. كما أن تصريف الفعل في زمن الماضي المستمر، يصف السيد المسيح وهو يُبارِك الأطفال، كلاً على حده[١٩].

وإتمامًا للفائدة، من الجيد أن نذكر أن البركة، كما أنها من الله للإنسان، كما في هتاف الكاهن في القدَّاس لتكميل السرّ: "أنت الذي وضعت يدك عليَّ **وباركت** طبيعتي فيك ..."، فرؤوسنا جميعاً طالتها يد الرب وتقدَّست بالدعاء، فنحن أطفال الله نترجَّى ملكوته. كذلك، فإن البركة هي أيضًا من الإنسان لله، وهي شائعة جدًّا في كل الأسفار الكتابيَّة، مثل قولنا: «أُبَارِكُ الرَّبَّ فِي كُلِّ حِينٍ. دَائِماً تَسْبِيحُهُ فِي فَمِي» (مز٣٤: ١). حيث أن مُباركة الإنسان لله تعني الاعتراف بحسنات الرب ومراحمه، وتقديم الشكر والحمد له على جميع خيراته. وهذا يظهر جليًّا في قطعة "قوموا يا بني النور"، من صلاة نصف الليل، حيث نُصلّي قائلين: "أيها القديسون **باركوا الرب**. يُباركك الرب الذي خلق السماء والأرض".

---

[16] France, R. T.: *The Gospel of Mark: A Commentary on the Greek Text*, (Grand Rapids, Mich.; Carlisle: W.B. Eerdmans; Paternoster Press, 2002), 396.
[17] Strack und P. Billerbeck: *Kommentar zum Neuen Testament aus Talmud und Midrasch,* (München, 1956) II, 138.
[18] Vincent, Marvin Richardson: *Word Studies in the New Testament*, (Bellingham, WA: Logos Research Systems, Inc., 2002), S. 1:212
[19] Bratcher, Robert G.; Nida, Eugene Albert: *A Handbook on the Gospel of Mark*, (New York: United Bible Societies, 1993), 316.

هذا وليس الإنسان فقط هو الذي يُبارِك الله، بل الملائكة أيضًا وكل الخليقة، كما في قول المزمور: «بَارِكُوا الرَّبَّ يَا مَلاَئِكَتَهُ الْمُقْتَدِرِينَ قُوَّةً الْفَاعِلِينَ أَمْرَهُ عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ كَلاَمِهِ. بَارِكُوا الرَّبَّ يَا جَمِيعَ جُنُودِهِ خُدَّامَهُ الْعَامِلِينَ مَرْضَاتَهُ» (مز١٠٣: ٢٠ـ٢١). كما أن الهوس الثالث من تسبحة نصف الليل، ما هو إلاّ مُباركة الخليقة كلها لله.

نخلُص إلى القول أن الله يُبارِك الإنسان وكل الخليقة العاقلة وغير العاقلة، وأن الإنسان وكل الخليقة تُبارِك الله، أمّا الإنسان في مُباركته للإنسان ببركة الرب، فتكون عن طريق من ينيبهم الله في ذلك بالصلاة.

صلوات شفاعيَّة من أجل التلاميذ:

وهي **المجموعة الرابعة** من صلوات السيد المسيح، ونُخصِّصها لصلواته الشفاعيَّة من أجل تلاميذه (لو٢٢: ٣١ـ٣٢؛ يو١٤: ١٦؛ ١٧: ٩ـ٢٦). ونصوص هذه الصلوات لم ترد حرفيًّا، إلاّ فيما جاء على ذكره القديس يوحنا في بشارته، حينما أفرد مساحة كبيرة لصلاة السيد المسيح الكهنوتيَّة (يو١٧) قُبيل صلبه، وهو ما سنفرد له، بدورنا، مساحة كبيرة في مقالاتٍ لاحقة.

أمّا عن صلاة السيد المسيح من أجل تلاميذه والتي جاء على ذكرها القديس لوقا في بشارته، ولكنها لم ترد نصًّا، فقد تعرَّفنا عليها على لسان السيد المسيح نفسه عندما وجَّه كلامه لبطرس الرسول، مُطَمْئِنًا إياه، قائلاً: «سِمْعَانُ سِمْعَانُ هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ! وَلَكِنِّي **طَلَبْتُ** ἐδεήθην **مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ**. وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ» (لو٢٢: ٣١ـ٣٢). لقد ذاق الشيطان حلاوة الانتصار، حينما أوقع بيهوذا، لذلك أراد أن يعمل بغرباله في جميع التلاميذ، مُمنِّيًّا النفس أن يلعب نفس الدور الذي لعبه مع أيوب البار[٢٠]، فعبارة «الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ ἐξητήσατο»، من الفعل ἐξαιτέω الذي يعني "أطلب، ألتمس، أتوسَّل"، لم ترد في العهد الجديد، إلاّ في ذلك الموضع. كما أن تصريفه جاء في الزمن

[٢٠] انظر: أي١: ١١-١٢.

الماضي، دليلاً على أن طلبه قد تحقَّق[٢١]. فهذه العبارة تلقي ضوءًا على شخصيَّته، فهو "المُشتكي κατήγωρ" الذي يشتكي على المؤمنين أمام إلهنا نهارًا وليلاً (رؤ١٢: ١٠). إذن، فإن قول الرب لتلك العبارة يفتح نافذة على ما يحدث في العالم غير المرئي، بحيث لا يصل إلى أسماعنا أيُّ همسٍ منه. وهو ما يضفي أهميَّة خاصة لكلمات الصلاة الربانيَّة: «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ ... لاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لَكِنْ نَجِّنَا **مِنَ الشِّرِّيرِ** ἀπὸ τοῦ πονήρου» (مت٦: ٩، ١٣). وهي تحمل نفس صدى كلمات السيد المسيح في صلاته الكهنوتيَّة: «مِنْ أَجْلِهِمْ أَنَا **أَسْأَلُ** ἐρωτῶ ... أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ ... لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ **مِنَ الشِّرِّيرِ** ἐκ τοῦ πονηροῦ» (يو١٧: ٩، ١١، ١٥).

لقد أفلح الأمر مع يهوذا، ولكنه خاب مع بطرس وبقيَّة التلاميذ، فقد طلب السيد المسيح من الآب أن يحفظ إيمانهم لئلا يفنى، وهو ما تحقق. والدليل على ذلك عدم قوله لبطرس: «وأنت إذا رجعت ثبِّت إخوتك»، بل «وأنت متى رجعت ثبِّت إخوتك». فهو يتكلَّم معه وكله ثقة في عدم فناء إيمانه ورجوعه ليُثبِّت بقيَّة التلاميذ، لأنه طلب ذلك من الآب بالفعل. فالشيطان «طلبهم ἐξῃτήσατο»، فهو المُجرِّب والمُشتكي، والسيد المسيح «طلب من أجلهم ἐδεήθην»، فهو الشفيع، وإذا ما طلب السيد المسيح أمرًا أضحى طلبه أمرًا واقعًا. وهو ما يؤكِّد على أن هذا الثبات في حقيقته هو عطيَّة إلهيَّة بدونها كان يمكن أن يفنى إيمانهم. وإن كان يهوذا يُمثِّل "الخيانة"، لكن بطرس يمثِّل "الضعف" الذي يحتاج إلى عون إلهي فيقوم ليثبت ويُثبِّت الآخرين معه خلال النعمة الفياضة التي ينالها. لذلك عاجله بقوله: «وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ»، وهو ما استرعى انتباه **القديس كيرلس الإسكندري**، فقال مُعلِّقًا على ذلك:

[21] Friberg, Timothy; Friberg, Barbara; Miller, Neva F.: *Analytical Lexicon of the Greek New Testament*, (Grand Rapids, Mich. : Baker Books, 2000), 153.

"«وأنت متى رجعت ثبِّت إخوتك» ... تعجَّب بالأكثر من هذا، أعني من المهارة الرائعة لهذه العبارة، ومن العظمة التي لا تُجارَى للُّطف الإلهي! فلئلا تُؤدّي سقطة التلميذ الوشيكة إلى اليأس ... فإن المسيح في الحال يملأه بالرجاء الصالح، ويمنحه يقينًا أكيدًا أنه سوف يُحسَب أهلاً للبركات الموعود بها، ويحصد ثمار الثبات، لأنه يقول له: «وأنت متى رجعت ثبِّت إخوتك». يا للشفقة العظيمة التي لا مثيل لها! إن التلميذ وهو لم يكن قد أصيب بعد بداء عدم الإيمان قد نال دواء الغفران؛ وقبل أن يرتكب الخطيَّة نال الصفح، وقبل أن يسقط فإن اليد المُخلِّصة امتدَّت إليه، وقبل أن يتداعى فإنه حُفِظ، فإن الرب قال له: «متى رجعت ثبِّت إخوتك». ومثل هذا الكلام هو كلام ذلك الذي يصفح عنه ويعيده مرة أخرى إلى الصلاحيَّات الرسوليَّة"[٢٢].

وهذا ما تؤكِّده أيضًا عبارة «يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ»، فهناك بون شاسع بين غربلة الحنطة ـ أي التلاميذ ـ وإهلاكها. فالله من الممكن أن يسمح بالأولى، ولكنه يتدخَّل لمنع الثانية، بشرط أن يدرك المؤمن ضعفه وحاجته للمعونة الإلهيَّة. وهو ما يؤكِّد عليه يوحنا الرسول في رسالته الأولى قائلاً: «نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ لاَ يُخْطِئُ، بَلِ الْمَوْلُودُ مِنَ اللهِ يَحْفَظُ نَفْسَهُ، وَالشِّرِّيرُ لاَ يَمَسُّهُ» (١يو١٨:٥).

وبالعودة إلى الفعل «طلبت ἐδεήθην»، فهو تصريف الفعل δέομαι في الزمن الماضي المبني للمجهول والذي يعني: "أطلب، أصلِّي، ألتمس، أتضرَّع". وهو فعل أُقْتُصِرَ استخدامه في العهد الجديد على القديسيْن لوقا وبولس الرسوليْن فقط، باستثناء ما جاء في (مت٩: ٣٨)، بحيث لم يستخدمه القديس لوقا للإشارة إلى صلاةٍ للسيد المسيح إلاّ في هذا الموضع (لو٢٢: ٣٢). كما استخدم بولس الرسول الاسم منه «طِلبة δέησις»، في الإشارة إلى صلواته، حينما قال: «الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ **طِلْبَاتٍ**

[٢٢] القديس كيرلس الإسكندري، تفسير إنجيل لوقا، ٧٠٣.

δεήσεις وَتَضَرُّعَاتٍ ...» (عب٥: ٧)[٢٣]. وهو ما يُعلِّق عليه **القديس كيرلس الإسكندري** قائلاً:

"لاحظ أنه يُنزِل نفسه إلينا، ويتكلَّم بحسب حدود الحالة الإنسانيَّة، ومع ذلك فهو اللّه بالطبيعة، رغم أنه صار جسدًا، ومع أنه هو قوة الآب، الذي به تقوم كل الأشياء وتُحفَظ، والذي منه ننال القدرة على الاستمرار في الصلاح، إلاّ أنه مع ذلك يقول إنه يُقدِّم طِلْبات كإنسان، لأنه كان من الضروري، نعم من الضروري، لذلك الذي ـ من أجل التدبير ـ صار مثلنا، أن يستخدم أيضًا كلماتنا حينما تستدعي المناسبة بحسب ما يتطلَّبه التدبير نفسه"[٢٤].

فصلاته هنا ليست عجزًا في الحفاظ على تلاميذه، وكأنه في حاجة إلى معونة الآب، ولكنها المهمة التي اضطلع بها منذ تجسده وإلى الآن، بعد قيامته من الأموات وصعوده إلى السماء، كشفيع لنا أمام اللّه الآب، الذي يقول عنه بولس الرسول: «هُوَ الَّذِي مَاتَ بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضاً الَّذِي هُوَ أَيْضاً عَنْ يَمِينِ اللهِ الَّذِي أَيْضاً **يَشْفَعُ فِينَا**» (رو٨: ٣٤)؛ «فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضاً إِلَى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ **لِيَشْفَعَ فِيهِمْ**» (عب٧: ٢٥). فإذا سقطنا، «فَلَنَا **شَفِيعٌ** عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا» (١يو٢: ١ـ٢). وهذا هو تمام نبوة إشعياء النبي القائل: «وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ **وَشَفَعَ** فِي الْمُذْنِبِينَ» (إش٥٣: ١٢). فصلاته الشفاعيَّة هنا هي بمثابة عمل كهنوتي اضطلع به رئيس كهنتنا الأعظم، يسوع المسيح، أمام اللّه الآب.

لقد كان هناك، في العهد القديم، نوعيْن من الوسطاء بين اللّه والشعب، الأنبياء والكهنة. فالأنبياء قد أقامهم اللّه ليتكلَّموا مع الشعب نيابةً عن اللّه. بينما أقام اللّه الكهنة ليتكلَّموا مع اللّه نيابةً عن الشعب. وفي العهد الجديد،

---

[23] Kittel, Gerhard (Hrsg.); Bromiley, Geoffrey William (Hrsg.); Friedrich, Gerhard (Hrsg.): *Theological Dictionary of the New Testament*, (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1976), 2:41.

[٢٤] القديس كيرلس الإسكندري، تفسير إنجيل لوقا، ٧٠٢.

اضطلع السيد المسيح بذيْنك العمليْن. وفي عمله الكهنوتي قدم ذاته ذبيحةً عنّا على خشبة الصليب مرة واحدة من أجل الجميع. غير أن الصليب ليس هو نهاية مطاف عمله الكهنوتي، بل بصعوده إلى قدس الأقداس في السماء هو مازال يعمل عمل رئيس الكهنة الأعظم، شفيعًا لنا أمام الله الآب. هذا هو ما لخصه لنا بولس الرسول قائلاً: «فَإِذْ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ عَظِيمٌ قَدِ اجْتَازَ السَّمَاوَاتِ، يَسُوعُ ابْنُ اللهِ، فَلْنَتَمَسَّكْ بِالإِقْرَارِ. لأَنْ لَيْسَ لَنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ غَيْرُ قَادِرٍ أَنْ يَرْثِيَ لِضَعَفَاتِنَا، بَلْ مُجَرَّبٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِثْلُنَا، بِلاَ خَطِيَّةٍ. فَلْنَتَقَدَّمْ بِثِقَةٍ إِلَى عَرْشِ النِّعْمَةِ لِكَيْ نَنَالَ رَحْمَةً وَنَجِدَ نِعْمَةً عَوْناً فِي حِينِهِ» (عب٤: ١٤-١٦). كما يضيف لاحقًا قوله: «لأَنَّ الْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ الْحَقِيقِيَّةِ، بَلْ إِلَى السَّمَاءِ عَيْنِهَا، **لِيَظْهَرَ الآنَ أَمَامَ وَجْهِ اللهِ لأَجْلِنَا**» (عب٩: ٢٤). يشرح ذلك **القديس كيرلس الإسكندري** قائلاً:

"فالذي هو دائمًا مع أبيه، قيل عنه إنه سوف يظهر أمام أبيه مُقدِّمًا أمامه ما حصل للطبيعة البشريَّة من تغيير بحسب ما فعل هو لذاته أولاً، مُبطلاً ذلك الابتعاد القديم، لأنه هو سلامنا، وفقًا للكتب المُقدَّسة (عب٢: ١٤)"[٢٥].

بجانب ذلك كشف لنا السيد المسيح عملاً شفاعيًّا آخر اضطلع به، حينما قال لتلاميذه: «وَأَنَا **أَطْلُبُ** ἐρωτήσω مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ» (يو١٤: ١٦). وهنا نجد أنه قد استخدم الفعل ἐρωτήσω، وهو تصريف الفعل ἐρωτάω "أسأل، أطلب، ألتمس"، في زمن المستقبل[٢٦]. هذا الفعل يحمل في معناه تعبير الصلاة أو الطِلبة، ولكن يقف السائل هنا على نفس المستوى مع مَن وُجِّه إليه السؤال. لذلك يستخدم البشيرون هذا الفعل ليُعبِّروا عن صلاة السيد المسيح إلى الله الآب[٢٧]، إلى جانب بعض الأفعال الأخرى. ولكنهم لم يستخدموا أبدًا الفعل αἰτέω،

---

[٢٥] القديس كيرلس الإسكندري، السجود والعبادة بالروح والحق (الجزء الخامس، المقالتان الثامنة والتاسعة)، ترجمة المتنيح القس صموئيل وهبة وجورج عوض إبراهيم، (القاهرة، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائيَّة: يناير ٢٠٠٦)، ٨٦.

[26] Friberg, Timothy; Friberg, Barbara; Miller, Neva F., *op. cit.,* 173.

[٢٧] انظر: يو١٦: ٢٦؛ ١٧: ٩، ١٥، ٢٠.

والذي يحمل نفس المعنى أيضًا، ولكنه في هذه الحالة يكون مُوجَّهًا إلى من هو أعلى مستوى من السائل، كصلاة الإنسان إلى الله[٢٨]. وأوضح مثال على ذلك هو قول السيد المسيح: «وَمَهْمَا سَأَلْتُمْ αἰτήσητέ بِاسْمِي فَذَلِكَ أَفْعَلُهُ لِيَتَمَجَّدَ الآبُ بِالابْنِ. إِنْ سَأَلْتُمْ αἰτήσητέ شَيْئاً بِاسْمِي فَإِنِّي أَفْعَلُهُ ... وَأَنَا أَطْلُبُ ἐρωτήσω مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ» (يو١٤: ١٦)[٢٩].

ولكن يجب أن نؤكِّد على أن الطلب هنا أو الصلاة ليست طِلبة كلاميَّة، لكنه إذ يُقدِّم نفسه ذبيحة حب عن البشريَّة صار من حق مؤمنيه أن يحلّ الروح القدس ويسكن فيهم، هذا الذي لم يكن ممكنًا من قبل لحظة سقوط البشريَّة بآدم في الخطيَّة. هذه العطيَّة تلازم المؤمن إلى الأبد. وهنا يكشف السيد المسيح سرَّ عمل الثالوث التكاملي لتحقيق خطة الخلاص. فالآب أرسل ابنه، المُعزِّي الأول، فيبذل نفسه عن العالم. وعند صعوده إلى الآب، يستقبله كرأسٍ للكنيسة، فيسرُّ به إذ أكمل خلاص البشريَّة وأعلن عن حب الآب عمليًّا. وبرغم تغرُّب السيد المسيح عن الكنيسة بالجسد، إلاّ إنه يظل في وسطها عن طريق **طلبه من الآب واشتراكه معه في إرسال المُعزِّي الآخر، الروح القدس**، الذي يحلُّ في الكنيسة ويُقدِّسها ويقودها دون أن ينفصل عن الآب المُنبثق منه. هكذا تظهر علاقة الحب المُتبادَل بين الثالوث القدوس العامل لخلاص البشريَّة.

كما يجب أن نوضِّح أيضًا أن قوله: «وَأَنَا أَطْلُبُ ἐρωτήσω مِنَ الآبِ»، لا يعني ذلك أن الآب لا يريد ذلك، أو يجب الإلحاح عليه من أجل ذلك، ولكن هذا فقط من أجل الكشف عن أن عطيَّة الروح القدس هي ثمرة لعمل السيد

---

[٢٨] انظر: مت٧: ٧؛ يع١: ٥؛ ١يو٣: ٢٢.

[29] Zodhiates, Spiros: *The Complete Word Study Dictionary: New Testament*, (Chattanooga, TN: AMG Publishers, 2000), G2065.

المسيح الخلاصي، ابتاعها باستحقاق دمه، فأرسله مع الآب للمؤمنين بشفاعته[٣٠]. وهو ما يشرحه **القديس كيرلس الإسكندري** قائلاً:

"لأنه هو إله بطبيعته إذ أنه ثمرة الآب وبهاء جوهره؛ كما أنه إنسان بسبب أنه «صار جسدًا» (يو١: ١٤). وتبعًا لذلك فهو يتكلَّم كإله وفي نفس الوقت يتكلَّم كإنسان: لأنه بهذه الطريقة يستعمل صيَغ التعبير الواجبة بحسب ما يناسب التدبير في الجسد ... في هذه النقطة قصد ربنا أن يذكر اللّه الآب، وذلك لأمر ضروري، أي لأجل بنيان إيمانهم، وأيضًا لأجل المنفعة الكبيرة للسامعين ... لأنه حينما دعانا أن نسأل باسمه (انظر: يو١٤: ١٤)، وكشف ـ مع حقائق أخرى ـ عن طريقة للصلاة لم تكن مُستعمَلَة عند القدماء، ووعد وعدًا حاسمًا أنه سيعطي أيَّة أشياء، مهما كانت، نرغب في نوالها: ولأنه يقصد أن لا يبدو أنه يزيح شخص اللّه الآب جانبًا، ولا ينفي قوة ذاك الذي ولده، أي قوة الآب في تلبية رغبات القديسين، لذلك قال إن الآب سيكون الواهب الشريك معه الذي يعطينا لمنفعتنا، وأنه سيشترك معه في منح المُعزِّي لنا، مضيفًا أيضًا كإنسان الكلمات: «وأنا أطلب»"[٣١].

يُتبَع

[30] Henry, Matthew: *Matthew Henry's Commentary on the Whole Bible: Complete and Unabridged in One Volume*, (Peabody: Hendrickson, 1996), S. Jn 14:15.

[٣١] شرح إنجيل يوحنا (الجزء الثامن، الأصحاح الرابع عشر) للقديس كيرلس الإسكندري، ترجمة د. نصحي عبد الشهيد، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائيّة، أغسطس ٢٠٠٨، ١٠١ – ١٠٢.